الصباح الإسلامية
09
العدد 2438 - السنة التاسعة
الإثنين 4 رجب 1437 - الموافق 11 إبريل 2016
Monday 11 April 2016 - No.2438 - 9th Year

إعداد : ياسر السيد

مهارات الكلام في الإسلام

البيان هو اسم جامع لكل ما يكشف عن المعنى ويدل على المقصود ، أما الفصاحة فهي تعني خلو الكلام من التعقيد، وبعدة عن التداخل في الألفاظ والمعاني .

ومن هنا ينبغي استخدام الكلمات الواضحة ، والعبارات الفصيحة ، والألفاظ المستحسنة التي يفهمها المخاطب ، والحروف المتمكنة في مخارجها غير قلقة ولا مكدودة ، لأن ذلك يدل على البراعة في الأداء ويعبر عن الثقة في النفس ، ويحفز المستمع على المتابعة و الإصغاء ، أما استخدام الكلمات الضعيفة والألفاظ الهزيلة والعبارات الغامضة ، فإنها تدل على ضحولة الثقافة وقلة المعرفة والدراية بموضوع الحديث ، كما تعكس مشاعر الخمول والكسل والتوتر والانفعال ومن ثم عدم الرغبة في المتابعة .

وقالت عائشة – رضي الله عنها – في صفة كلام نبينا صلى الله عليه وسلم : « كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاماً فصلاً يفهمه كل من يسمعه [2].

وقال الله تعالى في معرض المن وذكر النعم: "الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الْإِنسَانَ ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ،» ﴿ الرحمن : 1،2،3،4 ﴾ . وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم البيان بالسحر الذي يأسر القلوب ويملك العقول ، حيث قال في حديث عبد الله بن عمرو :» إن من البيان لسحرا [3] » .

وقال ابن المعتز البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول ، وسئل معاوية عمرو بن العاص ، من أبلغ الناس ؟ قال : أقلهم لفظا ، وأسهلهم معنى ، وأحسنهم بديهة .

وهناك بعض الكلمات التي قد يستخدمها المتحدث ولا يفهمها المستمع من أول وهلة ، لذلك ينبغي التكرار حتى يحصل المقصود وهو الفهم والاستيعاب ، فعن أنس – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه ، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا [4] . ومن الخطأ الزيادة على الثلاث ، لأنه ينافي المقصود ويبعث على الرتابة والملل ، فضلا عن أنه الثابت من فعل النبي صلى الله عليه وسلم .

٧ النهي عن الثرثرة :–

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الثرثرة وهي كثرة الكلام تكلفا ، لأنها تبعث على الملل الخمول ، وتثير الضجر والازدراء ، فضلا عن كثرة الوقوع في الهفوات وارتكاب الأخطاء ، إضافة إلى أنها تعبيراً عن الأنانية والأثرة والاكتراث بالذات وعدم المبالاة بالآخرين ، مما يؤدى إلى النفور والقطيعة ، وذلك يتنافى مع مبادئ الإسلام ، لذلك فقد وضح النبي صلى الله عليه وسلم قبح هذه الخصلة ، وأعلن أن صاحبها هو أبغض وأبعد الناس منه يوم القيامة .

عن جابر – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من أحبكم إلى ، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة ، الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيهقون » قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون ، فما المتفيهقون » قال : « المتكبرون » [5] ، وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم قصر الخطبة مع البيان ، فعن عمار قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه فاطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة وإن من البيان سحرا [6] »

لذلك ينبغي الابتعاد عن التطويل الممل أو الاقتضاب المخل لأن الاكتفاء بعبارات مبتورة تثير استياء المخاطبين وتشعرهم بالاستخفاف بهم .

وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ـــ ثرثارة في كل ناد تخطب

٧ التواضع والبعد عن التشدق :–

قد حث الإسلام على التواضع في الحديث ولين الكلام ، ودعي إلى استخدام الكلمات المألوفة والعبارات الدارجة المفهومة ، ونهى عن التقعر والتشدق في الكلام باستخدام الكلمات الغريبة والعبارات المعقدة ، وقد حذر كل الحذر من هذه الصفة الذميمة التي لا تؤدى إلى بغض الناس فحسب ، بل بغض الله عز وجل ايضا ، وذلك هو الخسران المبين .

قال الله تعالى موصيا نبيه بالتواضع :» واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ» ﴿ الحجر : 88 ﴾ ، وقال تعالى مبينا جزاء التواضع :» تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » ﴿ القصص : 83 ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق : وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة ، الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيهقون » قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون ، فما المتفيهقون ، قال : « المتكبرون .

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال » إن الله عز وجل يبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها [7] » . أي الذي يظهر التفصح ويتعمد التشدق ، فيتقعر ويتعمق في الكلام ويتكلفه، استعلاء على الغير ، ورغبة في التقدير والوجاهة ، وحبا في الظهور ، وهذه صفات المتكبرون الذين يمقتهم الله عز وجل ، لذلك شبههم بالبقرة ووجه الشبه في إدارة لسانه حول أسنانه وفمه حال التكلم كما تفعل البقرة بلسانها حال الأكل وخص البقرة من بين البهائم لأن سائرها تأخذ النبات بأسنانها والبقرة لا تحتش إلا بلسانها .

ومن صور التشدق ، التكلم بلغة المثقفين في حضرة أنصاف المتعلمين والعامة ، واستخدام المصطلحات والعبارات التي يقتصر فهمها على فئة معينة ، بحضرة من لا يدركونها ، كأن يستخدم الطبيب المصطلحات الطبية في خطابه مع عامل بسيط استعلاءً عليه ، ومن ذلك ايضاً استخدام الألفاظ الأجنبية ادعاءً للثقافة والمعرفة ، فكلها أمور تثير الغضب والنفور ، فمن غير المعقول أن يقبل الإنسان على من يتعالى وينتشدق عليه ، وأن يأنس به ويطمئن اليه ، فمن تواضع لله رفعه وأحبه ومن أحبه وضع محبته في قلوب الخلق فما زاد الله عبداً بالتواضع إلا عزا .

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر
ـــ على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه
ـــ على طبقات الجوّ وهو وضيع

فمن أراد أن يأسر القلوب ويجذب العقول وتصغى له الآذان فعليه أن يكون التواضع منهجه والبساطة قبلته والرفق بغيته ، وأن يكون التكبر مرذول لديه والتشدق ممقوت عنده ، إذا هابه أحد هون عليه أمره ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه فجعل ترعد فرائصه فقال له» هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد[8]»

فقد كره النبي صلى الله عليه وسلم إيذاء المخاطب سواء بكثرة الكلام حتى لا يدع له فرصة يبدى فيها المخاطب رأيه ، وكذلك بأن يتكبر على جلسائه ويتشدق عليهم بالألفاظ والكلام، فهؤلاء هم أبعد المسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة .

٧ ترك مالا يعنيه :–

ينبغي للمتحدث ألا يتحدث في أمور الناس الخاصة ، التي لا تعنيه ، بحيث لا يضره السكوت عنها ولا ينفعه الكلام فيها ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من حُسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » [9] . يعد المحدثين هذا الحديث من الأربعة أحاديث التي جمعت فأوعت ، فهو يدعوا إلى عدم تتبع العورات ، وحفظ الخصوصيات ، والاقتصار على الذات ، فهو منشأ الاحترام والتوقير ومصدر الهيبة والكرامة ، وهو مكمن العزة .

ازهد فيما عند الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

كل إنسان له عالمه الخاص الذي لايريد من أحد أن يتدخل فيه ، وإذا بادر شخص ما واقتحم عالمه بغير رضاه فسوف يحاول التصدي له بكل ما يستطيع ، فيقع ما يبغضه الإسلام من الكراهية والبغضاء ، ناهيك عن إهدار الوقت ، والتعب والتنغيص الذي يحصل له ، في حين انه بإعراضه عن التدخل في أمور الناس واقتحام أسرارهم تحصل له الطمأنينة وراحة البال ، وكما قيل من تدخل فيما لايعنيه سمع ما لا يرضيه

وذكر مالك أنه بلغه أنه قيل للقمان :»ما بلغ بك ما نرى ؟» يريدون الفضل فقال :» صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني » .[10]

وروى عن الحسن قال :»من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه» .

قال الامام الشافعي لصاحبه الربيع : ياربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك ، فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها .

وقيل : من عرف شانه ، وحفظ لسانه ، وأعرض عما لا يعنيه ، وكف عن عرض أخيه ، دامت سلامته ، وقلت ندامته ، وإياك وفضول الكلام فإنه يظهر من عيوبك ما بطن ، ويحرك من عدوك ما سكن .

إحفظ لسانك لا تقول فتبتلى
ـــ إن البلاء مُوكلٌ بالمنطق

٧ التؤدة والاطمئنان في الكلام :– المتحدث اللبق هو الذي يتسم كلامه بالترتيل والترسيل ، فضلا عن التؤدة والتمهل ، ليفهم متحدثة مقصوده من الكلام ، لاسيما ونحن نعيش في عصر اختلطت فيه الجنسيات وتنوعت فيه اللهجات ، وتعددت فيه اللغات ، وتعقدت أمور الحياة مع كثرة مطالبها .

وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يزين كلامه ويترسل فيه ليترك الفرصة لمستمعه عن التفكر والتدبر ، بحيث يمكنه التعلق على فحوى الكلام إذا أراد ، لاسيما وقد أكد العلم الحديث على أن الإنسان لايمكنه التركيز وإستيعاب الكلام السريع الذي لايتخلله السكون والتؤدة والتمهل ، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : » إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه » ، أي لو أراد المستمع عد كلماته وحروفه لأمكنه ذلك ، لذلك إستوعب الصحابة كلام النبي صلى الله عليه وسلم وحفظوه [11].

عن عائشة قالت ألا يعجبك أبو هريرة جاء فجلس إلى جنب حجرتي يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم يسمعني ذلك وكنت أسبح فقام قبل أن أقضي سبحتي ولو أدركته لرددت عليه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم [12] .

ولكن هناك بين الترسل والتأني والبطء الشديد المصاحب للحذلقة ، فالأخير يؤدى إلى نفور السامع وضجره ، لان كلام متحدثه يسير الملل .

٧ يبدأ الكلام الأكبر والأعلم :–

من الآداب التي ينبغي مراعاتها في الحديث عدم تصدر حديثي السن للكلام وإبداء الرأى في حضرة من هم أكبر سنا وأكثر علما ، وهذا أمر ترتضيه الفطرة وتكاد تتفق عليه المجتمعات على اختلافها ، فبئس القوم الذين لا يبغون تحصيل خبرات من سبقوهم علما أو سناً ، ويرتضون خوض التجارب وتحمل النتائج .

وقد أفرد الإمام البخاري في صحيحه باباً أسماه إكرام الكبير ، وقال فيه: ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال .

وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ، وأنكر على من خالف ، ففي حديث سهل بن أبي حثمة قال انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود بن زيد إلى خيبر وهي يومئذ صلح فتفرقا فأتى محيصة إلى عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال كبر كبر وهو أحدث القوم فسكت فتكلما فقال تحلفون وتستحقون قاتلكم أو صاحبكم قالوا وكيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبرئكم يهود بخمسين فقالوا كيف نأخذ أيمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده [13]، والشاهد قوله كبر كبر ، وقال بعض أهل العلم فيه دلالة على اعتبار الكبر ، وجمعوا بينه وبين أحاديث اليمين بأن القوم إذا كانوا في المواجهة يقدم الأكبر ، أما إن كانوا عن اليمين والشمال قدم الإيمن تبركا .

وهنا يتضح مدى حرص الإسلام على شيوع الإحترام والتوقير بين أفراد المجتمع المسلم، ومراعاة النظام ونبذ والعشوائية والهمجية .

تعظيمك الناس تعظيم لنفسك
في قلوب الإعداء طرا والأدواء

من عظم الناس بعظم في النفوس بلا ـــ مؤونة ويل عز الأعزاء

٧ التأكد من صحة الكلام وعدم ترويج الشائعات :–

ينبغي على المتحدث أن يراعى صحة ما يقوله ويحكيه ، فيتثبت من كلامه ويرد الأمور إلى مصادرها الصحيحة ، فلا يتلفظ إلا بما هو ثابت عنده ، لان الكلمة ربما تخرج من لسانه فلا يدرى بها ، فيأخذها غيره فيبنى عليها أموراً لاحد لخطورتها ، فترويج الإشاعات يؤدى غالبا إلى حدوث النكبات والأزمات التي تلحق بالأفراد والجماعات .

وقد تضاعفت خطورة الإشاعات مع التقدم التكنولوجي والثورة الهائلة في عالم الإتصالات ، فقد ساهم ذلك أيما إسهام في سرعة وسهولة إنتقال المعلومات عن ذى قبل ، لذلك فقد أضحى تصديقها أكثر شراً وأسواء مصيراً ، وقد عانى العالم كله الأزمة الإقتصادية التي شاهدتها البورصات الإمريكية التي نتجت عن إشاعة .

لذلك قال الله تعالى : » وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ » ﴿ الإسراء : 36 ﴾ ، وقال تعالى أيضا : » » مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » ﴿ ق : 18 ﴾ ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : » كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل سمع » [14] ، فقد إعتبره الرسول صلى الله عليه وسلم كذاب .

٧ تجنب الحلف بغير الله :–

القسم تعظيم للمقسم به ، ولا يجوز للمسلم أن يعظم غير الله تبارك وتعالى لذلك نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله ، عن إبن عمر – رضى الله عنهما – أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وهو يحلف بأبيه فناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : » ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله وإلا فليصمت » [15] .

٧ البعد عن التملق والمداهن :–

من الناس من يتلون ، فيأتي هؤلاء بوجه ولسان وهؤلاء بوجه ولسان آخران ، فهو سلوك بغيض وخلق كريه ، مذموم صاحبه عند الله ورسوله والناس أجمعين ، لأنه يمتثل بسلوك يتنافى مع الأمانة والصدق والإخلاص أى صفات المؤمنين الربانيين ، ففي مثلهم قال الله تعالى:» يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا » ﴿ النساء : 108 ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : » تجدون الناس معادن : خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا ، وتجدون خيار الناس في هذا الشان أشدهم له كراهية ، وتجدون شر الناس ذا الوجهين ، الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » [16] . قال القرطبي إنما كان ذو الوجهين شر الناس لأن حاله حال المنافق إذ هو متملق بالباطل وبالكذب مدخل للفساد بين الناس وقال النووي هو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها وصنيعه نفاق ومحض كذب وخداع وتحيل على الاطلاع على أسرار الطائفتين وهي مداهنة محرمة ، قال فأما من يقصد بذلك الإصلاح بين الطائفتين فهو محمود ، وقال غيره الفرق بينهما،أن المذموم من يزين لكل طائفة عملها ويقبحه عند الأخرى ويذم كل طائفة عند الأخرى يأتي لكل طائفة بكلام فيه صلاح الأخرى ويعتذر لكل واحدة عن الأخرى وينقل إليه ما أمكنه من الجميل ويستر القبيح والمحمود أن [17]

وعن محمد بن زيد أن ناساً قالوا لجده عبدالله بن عمر – رضى الله عنهما – : إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم ، قال : كنا نعد هذا نفاقاً » [18] .

قل للذى لست أدرى من تلونه
أنا صبح أم على غش يناجيني

إني لأكثر مما سمتني عجباً يد
تشجع وأخرى منك تأسوني

تغتابني عند أقوام و تمدحني
في آخرين وكل عنك يأتيني

هذان شيئان قد نافيت بينهما
فاكفف لسانك عن شتمي وتزيني

٧ ما يفعله من اشتمل كلامه على منهى عنه :–

يتعامل الإسلام مع البشر من منطلق عدم العصمة ، واحتمال الخطأ ومن ثم فقد وجه المخطأ إلى ما يصلحه حتى لا يتمادى في خطئه ويصعب معه التغاضي عن الخطأ . ومن هنا إذا تكلم شخص بحرام ، فليستعذ بالله من الشيطان فإنما هو نزغ منه ، قال تعالى : » وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » ﴿ فصلت : 36 ﴾ . وبعد الاستعاذه يبادر بالتوبه والاكثار من الاعمال والإقوال الصالحه ، قال تعالى : » أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ » ﴿ آل عمران : 136 ﴾ ، وقال صلى الله عليه وسلم : » من حلف فقال في حلفه : باللات والعزى فليقل : لا إله إلا الله ، ومن قال لصاحبه : تعال اقامرك فليتصدق » [19] ، وقال تعالى :» إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ » ﴿ هود : 114 ﴾ .

وللتوبه أركان : أن يقلع عن المعصيه ، وأن يندم عليها ، وأن يعزم على ألا يعود إليها ، ولو تعلق الذنب بحق آدمي فلابد من البراءة منه .

في ظلال آية

« وَعَسَى أَن تكرَهوا شيئًا وَهوَ خيرٌ لكمْ »

قال [وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] [البقرة: 216

في هذه الأية عدة حكم وأسرار ومصالح للعبد ، فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب ، والمحبوب قد يأتي بالمكروه ، لم يأمن أن توافيه المضره من جانب المسرة ، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة لعدم علمه بالعواقب ، فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد أوجب له ذلك أمورا :

منها : أنه لا انفع له من امتثال الأمر وإن شق علي في الإبتداء ، لأن عواقبه كلها خيرات ومسرات ولذات وأفراح وإن كرهته نفسه فهو خير لها وأنفع ، وكذلك لا شيء أضر علي من ارتكاب النهي وإن هويته نفسه ومالت إليه ، فإن عواقبه كلها آلام وأحزان وشرور ومصائب ، وخاصية العقل تحمل الألم اليسير لما يعقبه من اللذة العظيمة والخير الكثير ، واجتناب اللذة اليسيرة لما يعقبها من الألم العظيم والشر الطويل .

فنظر الجاهل لا يجاوز المبادئ إلى غاياتها ، والعقل الكيّس دائما ينظر إلى الغايات من وراء تلك الستور من الغايات المحمودة والمذمومة ، فيرى المناهي كطعام لذيذ قد خلط فيه سمٌ قاتل ، فكلما دعته لذته إلى تناوله نهاه ما فيه من السم ، ويرى الأوامر كدواء كريه المذاق مفض إلى العافية والشفاء ، وكلما نهاه كراهة مذاقه عن تناوله أمره نفعه بالتناول .

ولكن هذا يحتاج إلى فضل علم تدرك به الغايات من مبادئها ، وقوة صبر يوطن به نفسه على تحمل مشقة الطريق لما يؤمل عند الغاية ، فإذا فقد اليقين والصبر تعذر علي ذلك ، وإذا قوي يقينه وصبره هان علي كل مشقة يتحملها في طلب الخير الدائم واللذة الدائمة .

ومن أسرار هذه الآية أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور ، والرضا بما يختاره له ويقضيه له ، لما يرجو فيه من حسن العاقبه .

ومنها : أنه لا يقترح على ربه ولا يختار علي ولا يساله ما ليس له به علم ، فلعل مضرّته وهلاكه فيه وهو لا يعلم ، فلا يختار على ربه شيئا بل يساله حسن الاختيار له وأن يرضيه بما يختاره فلا انفع له من ذلك .

ومنها : أنه إذا فوّض أمره إلى ربه ورضي بما يختاره له أمدّه فيما يختاره له بالقوة علي والعزيمة والصبر ، وصرف عنه الآفات التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه ، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه .

ومنها : أنه يريحه من الأفكار المتبعة في أنواع الإختيارات ، ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات التي يصعد منها في عقبة وينزّل في أخرى ، ومع هذا فلا خروج له عما قدر علي ، فلو رضي باختيار الله أصابه القدر وهو محمود مشكور ملطوف به فيه ، وإلا جرى علي القدر وهو مذموم غير ملطوف به فيه ، لأنه مع اختياره لنفسه ، ومتى صح تفويضه ورضاه ، اكتنفه في المقدور والعطف علي واللطف به فيصير بين عطفه ولطفه ، فعطفه يقيه مايحذره ، ولطفه يهون علي مافدّره .

إذا نفذ القدر في العبد كان من اعظم أسباب نفوذه تحيله في رده ، فلا انفع له من الاستسلام وإلقاء نفسه بين يدي القدر طريحا كالميته ، فإن السبع لا يرضى باكل الجيف .